المد التحرري وتراجع الاستعمار في قارة افريقيا

الأستاذ: بن قويدر نورالدين
جامعة الجزائر 2 - أبو القاسم سعد الله

تطرح هذه الاشكالية قارة إفريقيا كموطن لأقدم الحضارات في العالم وصرحها في مناطق عديدة مثل ضفاف نهر النيل وشمال إفريقيا–نوميديا– فبعضها من أقدم المناطق تحضرا، والبعض الاخر سبق مناطق أخرى من العالم، لتعيش المراحل الأولى في تحضيرها، فكيف لقارة تعد من أقدم مواطن الحضارات الإنسانية، يحتلّها الاستعمار الأوربي بدعوى تخلّفها ويدعي أن رسالته لأولى تحضيرها وتعميرها؟ فهل كان الواقع مطابق لهذه الدعوة؟ أم أنّه أعاد إفريقيا لعهود بدائية فلم تعرف معه إلا الجهل والإبادة والنهب ثم ينعتها بالقابلية للتخلف؟

فهل يمكن لثروات إفريقيا أن تتحول إلى بلاء استقطب الاستعمار الأوربي؟ وهل كان غزو إفريقيا مشروع حضاري أم مخطط استعماري للرجل الأبيض بفكره القائم على الوطن الأم (الميتر وبول)، وهل التخلف قدر محتوم أم مرحلة تاريخية ستنتهي عاجلا أم آجلا؟

أ - عوامل تبلور الفكر التحرري في إفريقيا:

تظافرت عدّة عوامل خارجية وداخلية في تبلور الفكر التحرري، فالعوامل الخارجية تجسدت في حركة الجامعة الإفريقية والتي تهدف إلى وحدة الشعوب الإفريقية والتعريف بثقافتها والعمل على بناء صرحها الحضاري ومن أبرز روادها زنوج إفريقيا وأمريكا وقد دفعهم إلى تأسيسها ودعمها معاناة

السود من تجارة الرقيق[1]، والى جانب ذلك انتشار المد الاستقلالي المساهم في انهيار الإمبراطوريات الاستعمارية الأوربية وتأثير مبادئ الثورة الفرنسية (الأخوة، العدالة، المساواة) في انتشار الفكر القومي في أوروبا والعالم، كما كان لانعكاس الأفكار الشيوعية تأثره ولو بشكل محدود خاصة بعد نجاح الثورة الروسية عام 1917 فظهور مبدأ جدا نوف السوفياتي سمح بدعم التحرر من الاستعمار والإمبريالية والرأسمالية، ونظرا لاعتماد إفريقيا قبل التواجد الاستعماري الأوروبي على التاريخ الشفوي مما دفع الأفارقة للاعتماد على المصادر الأوروبية خاصة ما يخدم الوعي السياسي والقومي والتحرري، في حين أسس ظهور الجمعيات الثقافية والاجتماعية قبل وبعد الحرب العالمية الثانية، لدور حاسم في التثقيف والتوعية رغم أنّها لم تكن ذات طابع سياسي، ومن عوامل تبلور الفكر التحرري بروز مجموعة من المفكرين من قارتي إفريقيا وأمريكا، على غرار «غارفي دي بوا» ونكروما (بانفريكاينة) فهؤلاء وغيرهم عقدوا مؤتمرات بين الحربين العالميتين (1 – 2) مناهضة لاستعمار وداعمة لمبدأ حق تقرير المصير وعلى سبيل المثال لا الحصر، أن جورج بادمون (جزر الأنتيل) كان من مهندسي المؤتمر الخامس للجامعة الإفريقية بمانشيستر وحضره مع نخبة من الزعماء منهم رسما كونال وأزيكوي وقد شكّل المؤتمر تهديداً للاستعمار والإمبريالية حيث أتفق الأفارقة على تأسيس الأحزاب للشروع في الكفاح التحرري فظهر في تنزانيا، الجمعية الإفريقية (تيا –TAA) وبواسطتها اِستطاع الزعيم نيريري تحقيق وحدة 200 قبيلة بفضل سياسته وما يدعوا إليه من وحدة وتحرر.

أما استفادة بعض الأفارقة بمنح البعثات البشرية على شاكلة نيريري في تنزانيا ونكروما في غانا وجومو كينياتا وغيرهم فقد ساهم ذلك في تنويرهم ووعيّهم وتزعمهم للحركات التحررية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، ضف

له تأثير الحكم الراشد وتشجيع البحث العلمي والأثر الطيب للاحتكاك بأوروبا والتعرف على الفكر الاصلاحي والتحرري، كما عرفت مبادئ ولسن الأربعة عشر طريقها إلى نفوس الأفارقة الراغبة في الانعتاق خاصة مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها وقد أشهرته شعوب المستعمرات في كل المؤتمرات المنعقدة قبل وبعد الحرب العالمية الثانية مثل مؤتمر الصلح بين 1919– 1920 (باريس– سان ريمو)، كما ساهم تطور وسائل الإعلام وتنوعها في نشر الفكر التحرري في العالم.

لقد حملت الحرب العالمية الثانية معها بذور فناء الاستعمار حيث أنهكت دوله التي استنجدت بالمستعمرات لتحريري أراضيها وأبانت دول الحلفاء أثناءها بأن حربها ضد دول المحور لأجل تحرير الشعوب وتخليص الانسانية من بلاء الحرب والاستعمار، فهل شعوب المستعمرات لا تدخل في هذه المهمة؟ وخاصة أن لقاء الأطلسي عام 1941 أكّد في وثيقة الثمانية –الأطلسي–حق الشعوب في تقرير مصيرها، وصرح ديغول في برازفيل عام 1944، بأن مهمة فرنسا الأساسية هي مساعدة شعوب المستعمرات في تسيير شؤونها، وقد عزّز هذا التوجه تأسيس هيئات دولية على غرار هيئة الأمم المتحدة والجامعة العربية عام 1945 والتكتل الأفرو آسيوي (باندونغ 1955) الذي تحول إلى حركة عدم الانحياز عام 1961 (بلغراد) وكل هذه الهيئات كرست فلسفتها ونضالها في دفع المستعمرات نحو التحرر والاستقلال .

أما العوامل الداخلية المساهمة في تبلور الوعي التحرري بإفريقيا فيمكن حصرها في معاناة الأفارقة من السياسات الاستعمارية القائمة على نهب الشركات والحكومات، وإقصاء الأهالي وسيطرة الأقليات البيضاء على دواليب الاقتصاد والحكم والنظم العنصرية، والاضطهاد والظلم وحملات الاعتقال والحضر السياسي وكبت الحريات وتحول الفئة الداخلية والمستوطنة إلى سادة وتذمر

الأفارقة من محاولات الاستعمار الأوروبي القضاء على تراثهم الحضاري وتقاليدهم[2] ودعم البعثات التبشيرية للاستعمار ومساندته في أهدافه، والزّج بالأفارقة في كل الحروب الأوروبية وفي الجهات الأمامية لقاء وعود لا طائل منها، وكان للاحتكاك الحضاري بين الأفارقة والبلدان الاستعمارية نتيجة نقل أبناء القارة الإفريقية كعمال أو محاربين في بلدانهم الأثر البارز، اذ شاركوا في الرخاء والتطور السائد في هذه الدول الاستعمارية وبالمقابل تنكروا لدورهم وجازوهم بممارسات أنانية واستغلوهم بل وعملوا على إبقائهم في تخلّفهم، لكن من جهة أخرى فقد عجّل هذا الاحتكاك في تطور مستوى الوعي السياسي والثقافي لدى الأفارقة خاصة الطبقة المتنورة، اذ تفتحت عيونها على حقيقة الاستعمار وأوضاع بلدانه مقارنة بالأوضاع التي أصبحت عليها المستعمرات الأفريقية .

وقد شملت العوامل الأخرى معاناة شعوب إفريقيا من الفقر والجهل والمرض، ونظرة الاستعمار الاستعلائية واسترقاقه للافارقة كمصدر لثروته الاقتصادية ولتجارة الأوروبيين الموجهة إلى العالم الجديد، يضاف لها اكتساب شعوب المستعمرات خبرة عسكرية من جراء المشاركة في الحروب الأوروبية والعالمية حيث وظّفت في تفجير الثورات وتأطيرها حتى تحقق الاستقلال، كما زالت عقد الخوف والرهبة التي زرعها الرجل الأبيض، وبهذا كانت الحرب العالمية الثانية نعمة على شعوب المستعمرات بظهور المد الاستقلالي وبانهيار النظام الاستعماري وتراجع مكانته الدولية وهو ما هيأ الظروف لانتشار المد التحرري.

ب - تطور أساليب الاستعمار الأوربي في إفريقيا:

تطورت أساليب الاستعمار بين القرن الخامس عشر والقرن التاسع عشر، ومن أبرز الوسائل الجديدة: استخدامه الوكالات أي المراكز التجارية الإفريقية وقد يطلق عليها بالقنصليات[3] إذ كان دورها النهب الاقتصادي وتسهيل التجارة

وحماية البعثات الدينية والرعايا، أما الأسلوب الثاني فيتمثل في المعاهدات مثل المعاهدة التي فرضتها بريطانيا على الصومال عام 1840ومعاهدة فرنسا التي وقعتها مع الحبشة في 29ديسمبر 1960 للحصول على امتيازات فتحولت بذلك لوسيلة للتدخل وحماية الرعايا والهيمنة.

و جاء الأسلوب الثالث ماثلا في الشركات والتي مكنت المهندسين من الوصول إلى شمال غانا الجديدة ورأس الرحاء الصالح، وتدريجيا حلّت الدول والحكومات الأوروبية محلّ الشركات التجارية لتنشيط الصراع الاستعماري ومهّدت هذه الشركات الطريق لاستعمار إفريقيا، أما الأسلوب الخامس فيعتمد على التفرقة العنصرية، خاصة في جنوب إفريقيا، وفي ظلّها سيطرت الأقلية البيضاء على السلطة والاقتصاد وسلبت الأراضي والموارد، وجاء الأسلوب السادس ماثلا في ظاهرة التبشير الديني[4] وتكونت لهذا الغرض : جمعية رئيسية في رواندا عام 1600 وعملت على إنشاء المدارس والكنائس بهدف تطويق الإسلام والقضاء على الوثنية وتحويل المساجد إلى كنائس وأديرة وتحولت الإرساليات الى عامل مساعد على تثبيت أركان الاستعمار وتحقيق أهدافه، أما الأسلوب السابع فقد تجسد في التعليم الأجنبي، الذي بدأ على يد المبشرين في أوغندة وانتشر نشاطهم في الصومال وأثيوبيا ومصر.

جـ- المد الاستقلالي في إفريقيا:

أولا: اندثار الاستعمار البرتغالي:

كانت البرتغال أول دولة فتحت العهد الاستعماري الأوروبي في إفريقيا ونظرا لضعف قوتها الاقتصادية والعسكرية فقد ترتب عنهما دور هزلي مقارنة بالقوى القارية الاخرى بأوروبا، ومع ذلك كانت آخر من سلمت في مستعمراتها أي بعد تصفية الاستعمار الفرنسي والإنجليزي والألماني والإيطالي في إفريقيا.

أ - **مقديشو** : واجه البرتغاليين مقاومة عنيفة ضد الأفارقة والعرب ومثّل هذا الرفض للمحتل ثورة مير علي التي امتدت إلى مناطق مجاورة ولم تتوقف حتى استعان البرتغاليون بقواتهم البحرية لإخمادها، لذا اقتصر نجاحهم في البداية في إفريقيا بالبقاء بالموزمبيق وانجولا وغينيا بيساو يعود ذلك إلى قلّة عدد البرتغاليين ونظرتهم لإفريقيا كوسيلة للوصول إلى الشرق الذي اعتبروه غاية، كما استقطب اهتمامهم مناطق أخرى أكثر جاذبية وأهمية مثل البرازيل، ضف له عداء الافارقة للبرتغاليين من تجار وإقطاع ومبشرين، كما كان لاحتلال إسبانيا للبرتغال عام 1580م وقرابة 80 عاما تأثيره، ضف له تصادم مصالح البرتغال بمصالح الدول الأوروبية خاصة بريطانيا، بعد مؤتمر برلين عام 1884 م [5].

ب - أنغولا وموزمبيق وغينيا بيساو: كانت البرتغال تتخوف من تسرب التيار التحرري لمستعمراتها خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، سيما وأنّه لقي مساندة من الرأي العام العالمي وأصبح حق الشعوب في تقرير مصيرها حقا طبيعيا ومشروعا، رغم جهودها التي حاولت بها تتجاوز مخاوف التحرر، فقد تبددت كل طموحاتها، نتيجة الاضطرابات التي اجتاحت مستعمراتها وكانت أنغولا أسبق من الموزمبيق في الثورة على الاحتلال وأكثر عنفا ولهذا ما يبرره من الأسباب:

1 – معاناة أنغولا من الاستعمار البرتغالي وتجارة الرقيق [6].

2 – صلات القربى بين قبائل شمال أنغولا وقبائل الكونغو شجع انتقال أخبار حركة المقاومة في الكونغو وأنغولا.

3 – صدى انفصال البرازيل عن البرتغال في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

4 – مساهمة خط سكك حديد «كاتنغا–ميناء لواندا» في انتقال أخبار حركات التحرر إلى أنغولا.

5 – ظهور أحزاب وطنية وزعامات أنغولية واعية أطّرت العمل التحرري.

6 – مساندة الدول الإفريقية والأسيوية داخل هيئة الأمم في حق الأفرقة في الاستقلال .

7 – مساعدة منظمة الوحدة الإفريقية للوطنيين في كفاحهم ضد الاستعمار.

8 – سقوط الحكم العسكري (الديكتاتور سالازار) وعدم قدرة البرتغال في الاستمرار بمستعمراتها.

إن الظروف السياسية والاقتصادية الصعبة التي أدخلت البرتغال في دوامة الإنهيار لإمبراطورتيها الاستعمارية، ساهم بتعجيل استقلال مستعمراتها، فاستقلت غينا بيساو وجزر الرأس الأخضر بزعامة أميكال كابرال في 10 سبتمبر 1974 .وموزمبيق في25 جوان 1975 وأنغولا في11 نوفمبر 1975 [7].

وبهذا فالثورات لم تحقق الاستقلال فحسب بل أراحت البرتغال من نظامه الديكتاتوري ومن عبء حركات التحرر في مستعمراتها الإفريقية.

ثانيا: انحصار الاستعمار الإسباني:

اهتمت إسبانيا بشمال غرب قارة إفريقيا، لأن المغامرة الاستعمارية تحكمت فيها ظروفها العامة والماثلة في تركيز اهتمامها بإنهاء حكم المسلمين في الأندلس (1492) وبقائها مقسمة إلى ممالك وتأخر وحدتها حتى زواج الملك فرديناند بالملكة إيزابيلا، كما شغلتها مستعمرات أخرى مثل جزر الهند الغربية بأمريكا مثل المكسيك وبيرو وفلوريدا (و م أ) والبرازيل، يضاف له دخولها في حروب أوروبية دامت قرابة 65 عاما (1494–1559) مما استنزفها ماديا وبشريا ،وزاد ضعفها التعصب المذهبي لملوكها وتسخيرها لمحاكم التفتيش التي سلطوها على المسلمين وغيرهم وهي جهود لا طائل منها وضف له صراعها البحري مع الدول الأوروبية خاصة بريطانيا التي دمرت الأسطولها عن آخره (الأرمادا) عام 1588 فهذه الظروف في تفاعلها أنهكت إسبانيا وحدّت من توسعها الاستعماري.

أ - **المغرب** : ارتبطت المقاومة الوطنية بإقليم الريف بانتصارات المقاومة في الجزائر والمغرب وليبيا، وقد تزعم المقاومة في الريف* الأمير عبد الكريم الخطابي[8]، ضد قوتين أوروبيتين هما: إسبانيا وفرنسا وقد زعزعت هذه المقاومة أركان الاستعمار في شمال إفريقيا، وبهذا يكون الأمير الخطابي قد انتقم لعائلته وإقليمه بعد الضرر الذي ألحق بهما، وقد دارت معارك طاحنة بين الإسبان والوطنيين أبرزها قاطبة معركة الأنوال (25 جويلية 1921)، التي مكنت الريفيون من تحرير معظم المنطقة التي استولى عليها الإسبان منذ 1912 ويعزى انتصار جيش الأمير الخطابي على الجيش الإسباني بقيادة سيلفستر[9] رغم عدم تكافؤ الجيشان إلى : استعانة الأمير الخطابي بأسلحة أوروبية حديثة، وحصوله على الأموال اللازمة لقاء الأسرى الإسبان، والطبيعة الجيو سياسية لمنطقة الريف إذ تميزت بطبيعة جبلية وعرة المسالك، وغياب التنسيق العسكري بين القيادات الإسبانية وضعف التحصينات والطرق المعبدة بين المراكز الإسبانية والفساد المنتشر بين الضباط الإسبان وتغيباتهم عن المدن والحاميات.

يبدو أن عدم تحرير الخطابي مليلة والقضاء على القوة الإسبانية بها، كان خطأ إستراتيجي[10]، مما سمح للإسبان باستعادة أنفاسهم واستمالة الريسولي[*]، فتجنبو بذلك فتح عدة جبهات مع قبائل الريف وليتفرغوا للأمير الخطابي، والذي نجح في تشكيل حكومة الريف واتخاذ أغادير عاصمة دولية، وقد فشل الإسبان في مفاوضاتهم معه[11] وتمكن من قطع الطرق بين تطوان وشفشاون وهاجمهم في صائفة 1924، وفي عام 1925 تمكن الأمير الخطابي من السيطرة على جبالا وألقى القبض على الريسولي ونقله إلى أغادير حيث مات هناك، وهكذا تفرّد هو بالزعامة وقيادة الثورة وتمكن من تكوين جيش حديث وفرض جباية الضرائب وألف حكومة وطنية وأعلن ميثاق يقرب استقلال جمهورية الريف ودعا لإقامة تمثيل قنصلي بأغادير وعدم اعترافه بالحماية.

لازم الفرنسيون في البداية دعم الأمير الخطابي انتقاما من الإسبان حتى الحرب العالمية الثانية طامعين في الحصول على امتياز استغلال معادن الريف من «الخطابي» سرعان ما تغير موقفهم لاعتقاد المقيم العام الفرنسي «لوتي» أن ثورة الأمير الخطابي مجرد اضطراب يسهل إنهاؤها، لكنه الأمير خيّب فرنسا بإقامة حكومة وجمهورية وأثبت أن الفكر التحرري يؤسس لوجود وهوية وليس مجرد اضطرابات، لذا عمدت فرنسا للمراجعة موافقها بإعطاء الأمير ومقاومته وزنهما الحقيقيان، إذ ما أرادت الاستفادة من الريف الذي مثّل متحف طبيعي للمعادن في نظرها، فتحالفت مع الإسبان ضد الأمير في لقاء بيوتي والمارشال الإسباني برلمودي دي ريفيرا في جويلية 1925، وبعد أشهر بادر الأخير بهجومه في منتصف أفريل 1925 واحتل 50 مركزا فرنسيا وقارب مشارف فاس بحوالي 20 كلم، وأمام هزيمة فرنسا تأكدت بأن هذه الثورة ليست ثورة قبائل بل هي بداية ظهور دولة مغربية موحدة وتحرير المغرب بكامله [12].

وفي 13أفريل1925 سيطر الريفيون على تازة وتوجه الأمير نحو فاس وحاول الفرنسيون في 10 ديسمبر 1925 قطع الطريق عليه بمنطقة نهر الورغة وتأليب القبائل ضده دون فائدة واستطاع الأمير من الإستيلاء على 9 مواقع فرنسية، وإخلائه ل 32 موقعا، وهو ما أجبر القوتين الفرنسية والإسبانية على مهادنته في وجدة بين 27أفريل و6 ماي 1925ثم بدأوا هجومهم المعاكس عليه بالريف باحتلال «أنوال» يوم 18 ماي 1925و أمام ضعف قوات الأمير اضطر إلى الاستسلام في 26 ماي 1925 وانتهت مقاومة الريف[13] ويعود استسلامه لقلة امكانياته العسكرية والمالية والحصار البحري المفروض على مقاومته وتحالف إسبانيا وفرنسا ضده، وخروج بعض القبائل على طاعته.

ب - الصحراء الغربية: أبرمت المغرب وإسبانيا بيانا مشتركا للجلاء ولكن بقيت مدينتي سبتة ومليلة محتلتين حتى الأن ورغم كفاح المغرب من أجل تحرير أرضه التي مازالت تحت الاحتلال الإسباني إلا أنّه أقدم على احتلال الصحراء

الغربية وهكذا تحررت الصحراء من الاحتلال الإسباني(*) الذي أعلن عام 1975 أمام الجمعية الأممية تصفية الاستعمار من الصحراء الغربية [14]. لتخوض معركة تحرير في آخر مستعمرة إسبانية في إفريقيا ضد الاحتلال المغربي والذي بدأ أيام الملك الحسن الثاني عام 1975 وقد حرّك أطماع المغرب معان الصحراء الغربية أي الساقية الحمراء وواد الذهب خاصة الفوسفات، وهكذا دخل الشعب الصحراوي بقيادة «جبهة البوليزاريو» في حرب تحرير بعد أن تخلص من الإسبان، فشرده الجيران والأشقاء بين حياة الاحتلال لأراضيه وحياة المنفى والمخيمات بالجزائر (تندوف)، وفي ظل دعم المجتمع الدولي لقضية تحرير الصحراء الغربية وتزايد الاعتراف بحق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره وبدعم من الجهود الأممية والإفريقية وفي مقدمتها الجزائر تتجه القضية الصحراوية نحو إجراء استفتاء تقرير المصير رغم تعنت الموقف المغربي ومحاولاته تجاهل حق الشعب الصحراوي وممارسة القمع والتعذيب ضده والعمل على تبديد أي جهود ترمي لأنهاء حالة الاحتلال[15] خاصة عام 2016، والتي عرفت انفراجا بعد انتصار الفكر التحرري في آخر مستعمرة إفريقية .

ثالثا : زوال الاستعمار الهولندي:

إن الحرب بين البوير والإنجليز ليست صورة من صور الكفاح الوطني بين الوطنين والأوروبيين، وإنّما هي صورة من الصراع بين الأوروبيين للاستحواذ على ثروات إفريقيا مثل الذهب والماس وما تختزنه من ثروات أخرى، إن هذا الصراع المستعصي الذي حاول خلاله البوير إنهائه بصلح مع الإنجليز لكنهم فشلوا وأرغموا على إمضاء معاهدة بريتوريا في 13 ماي1903، وفقدت جمهوريتا البوير استقلالهما ،أي الترنسفال والأرنج وبهذا ضمت بريطانيا تاجها لإتحاد جنوب إفريقيا المكون من أربع ولايات هي : الكاب، ناتال، الترنسفال، الأورنج منذ عام 1910 .

وبعد سيطرة الإنجليز بدأ صراع التحرير من نظام عنصري أضرّ بحقوق أصحاب البلاد أي الغالبية السوداء (80 ٪) وفي الوقت الذي أضمد فيه الإنجليز والبوير جراحهم وتناسوا أحقادهم وأصبحوا السادة في البلاد (البيض)، أصبح الأفارقة غرباء ومواطنين من الدرجة الثانية لا يتمتعون بأبسط الحقوق المدنية والاجتماعية وهذه بداية الفجوة بين السلطات الحاكمة المستوطنة (البيضاء) والأفارقة بقيادة حزب المؤتمر الوطني الإفريقي بزعامة نيلسون مانديلا الذي بقي غياهب السجون 27 عاما حتى الإفراج عنه في 11 فيفري 1990 ليعقبه الإطاحة بنظام نطاح عنصري وتحرير هذه المستعمرة التي تداولت عليها هولندا ثم إنجلترا.

رابعا: تراجع الاستعمار البلجيكي:

- **الكونغو:** حرصت بلجيكا على عزل الكونغو قاريا ودوليا وحضر العمل السياسي خوفا من تداعيات الفكر التحرري، ولإسكات الجماهير المتطلعة للحرية أقبلت على إصدار بعض التشريعات عام 1957 كميثاق إنشاء مجالس المديريات، والمجلس الاستشاري والسماح بالتمثيل للأفارقة، والمساواة وتحسين الأجور. في حين كانت أولوية الكونغوليتين الإصلاحات الاجتماعية، وتسارعت الأحداث في ظل ظهور أحزاب وطنية مثل حزب أباكو برئاسة كازا وبو، وحزب الحركة الوطنية الكونغولية برئاسة باتريس لومبا ... وانطلقت المظاهرات التي اجتاحت ليو بولد فيل في جانفي1959و تجددت الاضطرابات في ستانلي في أواخر 1959، حيث الإفراج عن باتريس لومبا وبدأت المفاوضات في بروكسل في 1960 وانتهى باستفلال الكونغولي30 جوان1960، فانقضى بذلك عهد الاحتلال البلجيكي ليبدأ عهد الصراع على السلطة والتحرر من الأنظمة العميلة وبعد اغتيال لومبا في 17 جانفي 1961 حل محلّه العميل تشوبي ثم موبوتوسيسيكو وقام الثوار ضده بقيادة رولان كابيلا،

وقرروا الدخول إلى العاصمة كنشاسا في17 ماي 1997، واغتيل موبوتو هو الأخر في 15 يناير 2007و بدعم من أتباعه خلفه ابنه جوزيف كابيلا في الحكم والقيادة في البلاد[16] .

خامسا: انسحاب الاستعمار الإيطالي:

أ - **ليبيا:** بعد فرض الاحتلال الإيطالي على ليبيا عام 1911، انطلقت حركة المقاومة والتحرر التي وقعت على سكانها بتأطير الوطنيين وقد مرّ ذلك بمرحلتين:

- **المرحلة الأولى (1911-1922):** اعتمد فيها الليبيون على حرب العصابات بفضل نداء الجهاد الذي وجهوا أحمد الشريف وشيوخ الزاوية السنوسية وبسبب احتلال طرابلس وطبرق ودرنة وبنغازي في غياب دعم تركيا وبعد اتصالات بين الإيطاليين والسنوسيتين والإنجليز عقدت اتفاقية الرجمة (صلح) في 15 أكتوبر 1920وقسم النفوذ بين الإيطاليين (برقة) والسنوسيين (طرابلس) إلا أنّ الجماهير دعت الى توحيد المقاومة بين طرابلس وبرقة تحت لواء محمد إدريس السنوسي «أمير القطرين» طرابلس وبرقة».

- **المرحلة الثانية (1922-1951) :** تميزت بهجوم الإيطاليين على الموانئ والمدن وأمام تفوقهم اضطر الأمير محمد ادريس إلى الانسحاب إلى مصر ،و تواصلت المقاومة في برقة بيد عمر المختار[17]، وأمام قطع الإمداد من مصر، تحمل الليبيون أعباء المقاومة، وحاولت إيطاليا إخضاع ليبيانهائيا، ثم مالت للهدنة عام 1929، وبمجيء غرزاني (حاكم برقة) في 28مارس 1930، صمم القضاء على المقاومة في البلاد فشنت حملة مصادرة الأسلحة والإعدامات العشوائية، وإنشاء المحكمة الطائرة، وأقفلت الزوايا، وصادر المحتل الأراضي وأقام المعتقلات للأهالي، وشكّل المجموعات الصحراوية (الحركة) لتعقب المختار، الذي تمكنوا من أسره في 12 سبتمبر 1931 ثم إعدامه شنقا عن عمر ناهز 73 عاما.

ولم تتوقف المقاومة أثناء الحرب العالمية الثانية إذ تأسست الجمعية الوطنية بالقاهرة عام 1940 لبعث المقاومة من جديد، وبدعم من الدول الحلفاء أخرج الليبيون الإيطاليين من ليبيا نهائيا في فيفير1943، وأقيمت في ليبيا ثلاث إدارات عسكرية: بريطانية في برقة وطرابلس وفرنسية بفزان، أما بقية ليبيا فتحت إشراف أممي حتى إعلان استقلالها في سبتمبر 1951.

ب - أرتيريا : نشأت جبهة التحرير الأريتيرية في الدول العربية عام 1960 بين الجاليات العمالية والطلابية، لتنتقل عام 1961 الى جبال أرتيريا إثر انتفاضة قادها حامد إدريس عواتي في 1 ديسمبر 1961 وقد حولتها جبهة التحرير إلى ثورة مسلحة ومنسجمة مع الأهداف التي حددتها الجبهة في دستورها، ومن أهمها تحقيق الاستقلال الكامل عبر الكفاح المسلح وقد تطور هذا الكفاح المسلح بدعم من الأشقاء والأصدقاء وكثرت العمليات الفدائية خاصة في 12جويلية1963 بمدينة «أغردات» بغية التخلص من الأثيوبيين المحتلين، وبدعم عربي اتسع نطاق الثورة بعد 1964، ليعم كل مناطق الريف وبدأت الثورة تنتشر في مدنها حي بلغ عددهم عام1977، أربع عشرة مدينة، مما اضطر أثيوبيا للاعتراف باستفلال أرتيريا في 24ماي 1991 .

سادسا: حركة التحرر في المستعمرات الألمانية:

أ - **الصومال** : حاول الاحتلال الألماني تثبيت أقدامه بشتى الطرق والجهود ولكنه قوبل بثورات عنيفة في الشرق والغرب من قارة إفريقيا وقد تجسد هذه الرفض الشعبي للاحتلال في الثورات التالية:

أ – ثورة بوشيري بن سليم : إن محاولة ألمانيا السيطرة على شرق إفريقيا بواسطة شركة إفريقيا الألمانية جعلها تسخر كل الإمكانيات العسكرية والمادية للقضاء على مقاومة بوشيري بن صالح وظلت إمدادات الحكومة تتدفق حتى أجبرت الثورة على الانسحاب إلى الداخل إلا أنّ الثورة اشتدت أكثر خاصة بعد إلقاء القبض على زعيمها بوشيري وإعدامه في 15 ديسمبر 1889 [18].

ب – ثورة الماجي ماجي: تعتبر أكثر الحركات التحريرية نجاحا إذ امتدت إلى بحيرة نياسا وساحل كلوة وشارك فيها القبائل المسلمة والوثنية بغية طرد الألمان ومن دوافع نجاح هذه الثورة، الرغبة في إنهاء معاناة الفلاحين من نظام السخرة، وتذّمر الشعب الصومالي من الضرائب خاصة ضريبة الكوخ عام 1895 وضرائب العمل وفرض نظام العمل الجماعي في رصف الطرق أو في مزارع الأوروبيين إجباريا، وفي ظل نظام حكم فاسد مارس ضغوطات اقتصادية وهو ما زاد الشعب الرغبة في التحرر والاستقلال.

انطلقتا ثورة الماجي ماجي في مدينة ماهنج في 13 جويلية 1905 ضد الحكم الألماني، وحاكمه الذين أرادوا فرض زراعة القطن على نطاق أوسع وفي كل قرية ولا يستفيد الأفارقة من زراعته إلا الثلث ،و على حساب المحاصيل المعاشية مثل الشعير والأرز... فقضي بذلك على الاقتصاد الأسري، وقد استهدفت ثورة القطن ليس قطعه من جذره بل لقرع طبول التحرر، لهذا وفي 30 جويلية 1905 هاجمت كل عشيرة مراكز السلطة الألمانية وانضمت اليها عدة قبائل وقادة من تنجانيقا مثل عبد الله ما باندا وجماعات الموارا وزعمائها أمثال سليمان ممبا وحومبي جبريل وتمكنوا من تدمير مقر الإرسالات الألمانية في 28 أوت 1905، وبتعزيزات ألمانية في اكتوبر 1905 قضيت ألمانيا على هذه الثورة بثلاث حملات إبادة وبدأت سياسة التجويع ضد المناطق الثائرة وحاصرت الثوار وقضت على زعيمهم مبيلا في 12 افريل 1906 ومن أسباب نهاية هذه الثورة: العنف الوحشي على السكان واعتقال الزعماء والخراب والدمار وحالة المجاعة التي فرضت لأكثر من ثلاث سنوات والخسائر الفادحة التي حصدت قرابة ربع مليون إفريقي ولهذا الثورة عدة نتائج[19] منها :

– **سياسيا**: إنشار الفوضى بين الناس وظهور إصلاحات إدارية بغية تنظيم العلاقة بن العمال وأصحاب العمل،وتعيين بعض الزعماء الأفارقة في وظائف إدارية محليةوإعادة النظر في النظم الاستعمارية الألمانية.

- **اقتصاديا:** إنشار الفقر والمجاعة وانخفاض عدد السكان بسبب البرد والمرض،وبداية اهتمام البنوك والشركات التجارية بتحويل المستعمرة إلى سوق صناعية والسعي لتحقيق اكتفاء ذاتي.

- **دينيا وثقافيا:** فقد الأفارقة الثقة في المعتقدات المحلية (الماء المقدس) وتحوّلهم لاعتناق الإسلام وتوسع التبشر الديني وتعيين المدرسين في وظائف حكام محليين.

إن ثورة الماجي ماجي وضعت بداية المقاومة الحقيقية والفعّالة للقوى الأجنبية وكان انتشارها عاملا فعالا في استمرارية المقاومة حتى تحقيق الاستقلال.

ج-ثورات أخرى: نتيجة لمطالب وفود شعوب المستعمرات في مؤتمر الصلح، ونظر الهزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الاولى وتجريدها من مستعمراتها بموجب معاهدة فرساي عام 1919 (440 مادة) فقد طبقت على هذه الدول نظام الانتداب الذي كان على ثلاث درجات (مؤتمر سان رسمو 1920):

- وضع تنجا نيفا تحت الانتداب البريطاني.
- قسمت الطوغو بين فرنسا وبريطانيا.
- وضعت غرب إفريقيا تحت إنتداب إتحادجنوب إفريقيا[20].

أما بعد الحرب العلمية الثانية فقد وضعت مستعمرات المانيا تحت نظام الوصاية تواصل كفاح هذه المستعمرات حتى استقلالها الكامل في ديسمبر 1961، فتحصلت زنجار على استقلالها في ديسمبر 1963 وانضمت الدولتان في دولة موحدة هي جمهورية تنزانيا عام 1964 وانضمت الطوغو الانجليزية إلى غانا عام 1857 في حين أصبحت الطوغو الفرنسية جمهورية في 27 أفريل 1960 بعاصمتها لومي، واستقلت الكاميرون بعاصمتها ياواندي 1961.

سابعا: تصفية الاستعمار الفرنسي:

أ- **مصر:** تطلعت فرنسا لاحتلالها أيام حملة نابليون بونابرت عام 1798 ولم يبق الفرنسيون بها أكثر من ثلاث سنوات (1798-1801) وهو الدافع الذي حرك مخاوف بريطانيا وقد عادت فرنسا لها في ثوب الامتيازات الاقتصادية أي مشروع قناة السويس (1859-1869) وعلى إثر الضائقة المالية جاءت فرصة بريطانيا كشريك في القناة وكانت هذه خطوة أولى لفرض حمايتها على مصر فقطعت الطريق على فرنسا وأبعدتها من احتلال مصر لتنفرد بريطانيا في فرض حماية على مصر والسودان.

ب - الجزائر: بعد فشل فرنسا في حملتها بمصر اتجهت جهودها وأطماعها أملا في تكوين إمبراطورية استعمارية في شمال إفريقيا وبدأت بتنفيذ أطماعها بحصار بحري لثلاث سنوات (1827 - 1830) بغية إضعافها وتأليب سكانها على النظام الحاكم (الداي حسين)، ثم بدأت غزوها في 24 يونيو 1830 مستغلة ذرائع واهية، ولاقت فرنسا منذ البداية مقاومة عنيفة لعل أبرزها مقاومة أحمد باي في الشرق الجزائري ومقاومة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري[21] وقد استطاع الأخير تأسيس دولة حديثة في حدودها وفرض على المحتل معاهدتي دي ميشال وتافهة (1834-1837) واستمرت حركة المقاومة إلى مطلع القرن العشرين، ثم جرب الجزائريون أسلوب سلمي مع المحتل تمثل في نضال الحركة الوطنية بمختلف أطيافها وتوجهاتها وذلك بداية بظهور حركة الأمير خالد (1919) إلى ميلاد حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية والتي مثلت الاتجاه الاستقلالي والثوري وهذا لن ينقص من نضال باقي تيارات الحركة الوطنية، وإنّما التركيز على هذا الاتجاه يعود إلى أن أزمة هذا الحزب كانت السبب المباشر لاندلاع ثورة التحرير الكبرى (1954-1962) والتي وضعت نهاية لاستعمار استيطاني دام قرابة 132 عاما، وجعلت هذا الثورة من الجزائر قبلة للثوار والتحرر في إفريقيا.

ت-تونس : بحجة تأديب قبائل تونسية (الكرمليين) والتي عبرت الحدود الجزائرية واقترفت بعض السرقات البسيطة والمعتادة بين المزارعين والرعاة، انطلقتا فرنسا[22] بحملتين إحداها بحرية من طولون الى بنزرت والثانية برية من الجزائر نحو الكاف وطبرقة، وتقدمت القوات الفرنسية صوب تونس العاصمة وبموجب معاهدتي[23] باردو (12 ماي 1881) والمرسى (يوليو 1883) التي وقعهما الباي محمد الصادق دخلت تونس عهد الحماية الفرنسية، وكانت ردود فعل التونسيين على فرض الحماية الفرنسية متنوعة، وقد شملت ثورات شعبية على غرار ثورة الجلاز (مقبرة) عام 1911 وقبلها ثورة علي بن غداهم عام 1864، في حين كان النضال السياسي المظهر الثاني للمقاومة وهو نضال تبنته الأحزاب السياسية الوطنية[24] على غرار حزب تونس الفتاة عام 1906(علي باشا) والحزب الدستوري القديم (1920) والذي طالب بدستور ومجلس تشريعي وجيش وطني في حين قيام الحزب الدستوري الجديد عام 1934 (الحبيب بورقيبة) كتب له قيادة الثورة نحو الاستقلال ولقد حظي بتأييد شعبي كبير، إن أسباب الثورة التونسية (1954-1956) متنوعة وأبرزها: حالة الحماية التي فرضت وجود استعماري وما ترتب عنه من أزمات اقتصادية واجتماعية عان منها الشعب، وكان لظهور طبقة مثقفة ووطنية الدور الحاسم في توعية الشعب وتعبئته ضد الاحتلال الفرنسي الذي أفقد تونس سيادتها، هذا وقد تأثرت تونس بانتشار التحرر في العالم العربي مثل استقلال سوريا ولبنان والأردن عام 1946، واستقلال ليبيا عام 1951 ونجاح الثورة المصرية عام 1952 في اسقاط نظام فاسد وحماية إنجليزية، وهناك أسباب أخرى منها فشل النضال السلمي الذي قادته حركة أنصار السلام عام 1949 ورفض المعمرين التطور السلمي الوطني في ظل حكومة محمد شنيق، وتصاعد أعمال القمع والإرهاب الاستعماريين التي قادتها اليد الحمراء واغتيال رموز النضال النقابي أمثال فرحات حشاد.

نظرا لهذه الأسباب فقد بدأت الثورة التونسية بمظاهرات عام 1954في معظم المدن والقرى رافضة الانتخابات التي أجرتها إدارة الاحتلال، ثم تحولت إلى عمل مسلح تقوده مجموعة مسلحة تابعة لجيش التحرير التونسي واستهدفت مراكز العدو العسكرية، ومصالحه الاقتصادية والحيوية، وكمحاولة لإجهاض الثورة أعلنت فرنسا عن إصلاحات شكيليه رفضتها الحركة الوطنية وقام مدنين فرنس بزيارة تونس وأعلن موافقته على الحكم الذاتي مقابل تسليم الثوار لأسلحتهم الى السلطات الاستعمارية، فتشكلت على إثرها حكومة في جوان 1955، وانتهت بتوقيع الحكم الذاتي، ولكن هذه الاتفاقية لم تنل رضا الشعب والعناصر الوطنية مثل صالح بن يوسف، لذا أبرمت اتفاقية جديدة في 20 مارس 1956، نصّت على استقلال تونس، وأعقب ذلك، انتخابات المجلس القومي التأسيسي وتشكيل حكومة تونسية في 11 أفريل1956 برئاسة لحبيب بورقيبة الذي أصبح رئيسا للجمهورية وتم جلاء القوات الفرنسية عن تونس عام 1963.

ث - المغرب : احتدم الصراع الاوروبي بشراسة للانفراد باحتلال المغرب وانحصرت اطرافه بين فرنسا وبريطانيا واسبانيا والمانيا وايطاليا وبدبلوماسية سرية بعيدا عن علم ألمانيا، أبرمت فرنسا إتفاقية سرية مع الدول الأوروبية المنافسة لهافي المغرب مثل إيطاليا وبريطانيا وإسبانيا، بين 1904–1902 تضمنت التأييد والتعويض، إلا أن مؤتمر الجزيرة الخضراء بين 14 يناير و7افريل1906، أعاد الأمر إلى نقطة الإنطلاق ،و قد امتعضت المانيا من تحركات فرنسا في المغرب، وبادرت بالإنزال بميناء أغادير عام 1911 لوضع قدمها على بعض المدن المغربية مما أدى إلى حدوث مناوشات عسكرية بين القوات الألمانية والفرنسية، وهذا الأمر الذي أدخلها في أزمة حقيقية عرفت بأزمة أغادير، إلاّ أن الوساطة الدولية أوجدت مخرجا لها بتقديم فرنسا تعويضا لألمانيا والماثل في الجزء الشمالي من الكونغو الفرنسي مقابل رفع يدها عن المغرب .

وبعد القضاء على مقاومة الريف تواصل كفاح المغاربة ضد فرنسا، ولعل أخطر مواجهة هي معركة إسلي عام 1944، تمكن المحتل من حسمها لفائدته بإتفاقية طنجة في 10 سبتمبر 1944.

و قد تواصل النضال من أجل التحرر بالمغرب في ثوب المقاومة السياسية، بظهور أحزاب وطنية مطالبة بالاستقلال(*) وقد ساندهم في ذلك السلطان محمد الخامس (خطبة طنجة)، وأبعدته فرنسا إلى مدغشقر في 20 أوت 1953، ليفتح ذلك عهد لاستمرار حركة التحرر في المغرب عن طريق الثورة بين 1956-1954 بسبب السياسة الاستعمارية وظهور الوعي الوطني وبروز هيئات دولية ودعمها للتحرر ونفي السلطان الى الخارج، وبدأت الثورة عام 1954 بمهاجمة الثكنات والقطارات والمستودعات والمصالح الاستعمارية، وعمّت البلاد مظاهرات في 20 أوت 1955 في الذكرى الثانية بنفي السلطات، وزاد من الضغط على فرنسا تزامن هجومات الشمال القسنطيني، فأبعدت فرنسا، محمد بن عرفة عن العرش في 1 أكتوبر 1955 وأعادة السلطان «محمد الخامس وبعد مفاوضات إكس ليبان أعلن استقلال المغرب في 02 مارس 1956 وفتحت مفاوضات أخرى مع إسبانيا في 13 مارس 1956 وصدر بيان مشترك في 7 أفريل1956، استعادت المغرب بموجبه طنجة.

ج - تشاد : عرفت البلاد عدة انتفاضات شعبية انفجرت الأولى منها عام 1963، بسبب الضرائب الباهظة وإن قضي عليها فقد تشكّلت على إثرها الجبهة الشعبية لتحرير تشاد بقيادة أمين سرها «أبا صادق» هذا النظام الجديد فجّر الانتفاضة الثانية عام 1965 بمدينة مانغالم واستمرت ستة أشهر لتكبر وتتحول إلى ثورة عارمة عام 1967 شملت معظم المناطق وأمام دعم ليبيا، انسحبت القوات الفرنسية منها عام 1971.

ج - السينغال : لقيت فرنسا في شمال وغرب وشرق إفريقيا مقاومة عنيفة وقدّمت شعوبها أروع الأمثلة في الكفاح والتضحية ومن أبرز النماذج التحررية، مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري وقبائل الطوارق، وأطّر هذه الردود التحررية زعماء وقادة على غرار سموري توري ورابح فضل الله وأحمدو شيخو[25]، وإذا تمكّنت من إخماد هذه الثورات فإنها لم تستطع إنهاء الرغبة في التحرر بعد الحرب العالمية الثانية، حيث إندلعت ثورات في هذا البلد ولوحظ تزامنها مما أربكها وأجبرها على تصفية وجودها، واستقلت تونس والمغرب عام 1956 وأذعنت لأمر الواقع مع السينغال حيث أعترفت باستقلالها عام 1960 .

وأصبح ليوبولد ستغور رئيسا للجمهورية، واستقلت الكونغو الشعبية عام 1960 واستقلت مالي وقامت جمهوريتها برئاسة «مود بيلاكيتا» كما تحصلت ساحل العاج على استقلالها واستقلت داهومي وتحولت إلى جمهورية بنين عام 1976 واستقلت جمهورية الغابون عام 1976 برئاسة «عمر بونجو».

ج- كينيا: كونت قبيلة الكيكويو بعد الحرب العالمية الأولى الاتحاد المركزي للكيكويو عام 1922 بزعامة هاري توكوكنيياتا وأمام تصاعد كفاحهم أثناء الحرب العالمية الثانية أوقف نشاط الإتحاد المركزي مما عجّل في إنهيار السلطة القبلية ونمو الوعي السياسي، وفي عام 1946 نجح جومو ونكروما في محاربة الحاجز اللوني وجميع أشكال التفرقة فحصلت كينيا على استقلالها عام 1963[26].

ح - الصومال : بعد الاستفتاء على دستور الجمهورية الخامسة الفرنسية عام 1958 خيّر سكان الصومال بين تبعيتهم لفرنسا وبين الاستقلال إلا أنّ الخلاف بين الصوماليين أدى إلى تصويت 75 ٪ منهم في صالح استمرار التبعية لفرنسا، يبدو أن الامر يعود إلى تخوف الصوماليين من أطماع أثيوبيا في بلادهم والتي تأكدها تصريحات الإمبراطور هيلاسلاسي التي مفادها أنّ الساحل الصومالي جزء من الأراضي الأثيوبية، وقد واصل الموطنيون في الصومال نضالهم باتهام

فرنسا بتزوير الاستفتاء والمماطلة في الخروج من المنطقة وأدعت أن انقسام الصوماليين لا يشجع على قيام حكومة واحدة ومستقلة، ويبدو أن ظروف الفقر والانصراف في البحث عن لقمة العيش وإنشار الجهل هو ما ألهب المقاومة في البلاد .

خ - جيبوتي: ترتب على استفتاء1958 استمرار التبعية لفرنسا، وبداية التذمر لدى الشعب والذي برز في شكل مظاهرات نادت باستفلال البلاد[27]، ووّجهت كرسالة لديغول أثناء زيارته لها عام 1966 .

ثامنا: جلاء الاستعمار الإنجليزي:

أ - مصر: بعد فرض الحماية البريطانية عام 1882 وهي في الحقيقة حالة احتلال دامت قرابة 70 عاما[28]، واجه خلالها الإنجليز مقاومة من أمثلتها ثورة أحمد عرابي عام 1882 وثورة 1919 بقيادة سعد زغلول، ورغم اعترافها في تصريح 28 فيفري 1922باستفلال مصر وإلغاء الحماية وتأكيد الجلاء في معاهدة 1936، فقد ظلت بريطانيا تماطل وهذا ما أدى إلى فشل مفاوضات عام 1947، وعلى اثر هزيمة حرب1948 ظهرت الخلايا الاولى لتنظيم جماعة الضباط الأحرار عام 1949، والتي أسست بدورها لثورة 23 جويلية 1952 فأسقطت الحماية البريطانية ونظام موالي قاده الملك فاروق آخر أبناء محمد علي باشا وبذلك حققت مصر الاستقلال الذي استكملته في إطار التحرر الاقتصادي بتأميم قناة السويس عام 1956 فتخلصت من نفوذ أجنبي في القناة قوامه14 بلدا أجنبيا تنتفع بالعائدات المالية للقناة.

ب - السودان : كان الأوروبيون يطمعون في هذا البلد لكثرة موارده وخاماته ولتجارته التي كانت تدر أربحا طائلة من السلع الاستوائية، فضلا عن موقعه على الطريق الذي يمكنهم من التغلغل إلى أواسط إفريقيا، ويكفي وجود نهر النيل برافديه الأزرق والأبيض كطريق طبيعي إلى قلب إفريقيا، ونظرا لكونها امتدادا

طبيعيا لمصر جنوبا، لذلك ارتبط مصير السودان بمصر، ولأن بريطانيا فرضت حماية على مصر والسودان، لهذا تحول السودان إلى ميدان لثورة عارمة ضد الاحتلال الأوروبي عام 1881 وقادها الدرويش المتجول «محمد أحمد «، وفي الحقيقة كانت ثورة الدراويش على كل ما هو أجنبي بدأ من حكم مصر، وآل عثمان ثم البريطانيين، ونظرا لتأييد الذي لقيه زعيمها «محمد أحمد « فقد حقق انتصارات على الجيشين المصري والبريطاني ودخل العاصمة الخرطوم، وهو ما أدى إلى الجلاء مؤقتا عن السودان، لتعود مصر وبريطانيا بقوة مشتركة عام 1896 لاسترداد السودان بقيادة كيتشنر الإنجليزي فقضوا على ثورة الدارويش عام 1899، ورغم محاولة فرنسا الإنفراد بغرب السودان –إقليم فاشودة– إلا أنها انسحبت منه أمام ضغط بريطانيا عام 1898 وقد تواصل نضال الحركة الوطنية السودانية وألغيت الاتفاقية في أكتوبر 1951 وساعد في نجاح حركة التحرر بالسودان نجاح الثورة المصرية عام 1952 بما عجّل باستقلال السودان عام 1956 .

ج-**جنوب إفريقيا** : بعد حضر الاستعمار لنشاط المؤتمر الإفريقي (مانديلا) عام 1960 ومؤتمر الوحدة الإفريقية (جونسون مالامبو) عام 1961، تمّ تشكيل حزب «رمح الأمة» والذي بدأ كفاحه منذ 1967 بعد تجاهل نظام الأبارتيد للأفارقة وحفَّزهم على ذلك حصول جميع الدول الإفريقية على استقلالها عدا الصحراء الغربية، وميلاد منظمة الوحدة الإفريقية عام 1963 ودعمها للتحرر، ودعم الاتحاد السوفياتي وبعض الدول الاشتراكية ماديا وماليا ودبلوماسيا وحصول رود يسيا الشمالية على استقلالها عام 1980 وتوحيد كفاح زعيّميها «ماريان موغابي ونكومو» وتخلّصها من نظام عنصري سيطرت عليه أقلية ببيضاء وتتويجا لنضال حزبيّ «زنوا» و«زابو» ظهرت للوجود «زيمبابوي» كما كانت للحملة الإعلامية الدولية والإفريقية أثر على نظام الأبارتيد، وقد عبّر الأفارقة عن

احتجاجهم ونفاذ صبرهم ولم تخمد مقاومتهم حتى بعد مذبحة شارل بفيل عام 1960 واستمر الكفاح بانتفاضة سويتو عام 1976 وقد قاد الكفاح في جنوب إفريقيا ضد الأبارتيد حركتان : هما المؤتمر الوطني ومؤتمر الوحدة الإفريقية وقد فرضا نفسهما عام 1961 وغيرا الأسلوب الكفاح بسبب جبروت نظام الأبارتيد إلى أسلوب العنف الثوري، ولقي الأفارقة بجنوب إفريقيا دعم مؤتمر أكرا عام 1965 بقطع العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية وناقش مجلس الأمن إمكانيات طردها (جنوب إفريقيا) عام 1974 من هيئة الأمم لولا الفيتو الأمريكي والفرنسي والإنجليزي[29].

ناضل الأفارقة من أجل إلغاء النظام العنصري والإفراج عن المعتقلين (مانديلا) وإجراء استفتاء شامل ورفض التفاوض مع حكومة بريتوريا بسبب أعمال العنف التي تمارسها خاصة بعد 1987وفي ظل إعلان حالة الطوارئ ورفض سماع صوت التحرر في جنوب إفريقيا، استمر الأغلبية السود في نضالهم ضد الأبارتيد حتى نهاية عام 1994وأجريت انتخابات وأصبح على أثرها مانديلا رئيسا للجمهورية وانتهى حكم الأقلية البيضاء الذي مثله آخرهم فريدريك دوكلارك.

وصفوة القول بعد هذا العرض يمكن إقرار بعض الحقائق التي مفادها إن قارة أفريقيا ومواردها وموقعها وامتدادها أقوى أسباب الاستعمار الأوروبي الذي ابتدع الحجج لكل بلد احتله واستخدم أساليب عدة وطورها بدخوله الانقلاب الصناعي الأول وكلها أدوات للسلب والنهب، ولم يتوقف عند هذا الحد، بل سعى إلى القضاء على كل ما هو محلي من قيم وثقافات وديانات واقتصاديات وكانت رد فعل الأفارقة ماثلة في حركت التحرر التي واجهت الاستعمار الأوروبي بمختلف أشكاله كالاستعمار الاستيطاني والحماية والوصاية واستطاعت إرادة التحرر السياسي والاقتصادي والثقافي والديني في

النهاية أن تنتصر وهكذا ما بناه الاستعمار طيلة خمسة قرون هدمته حركة التحرر في حوالي نصف قرن وهدمت معه كبرياء الإمبراطوريات الاستعمارية، وبقيت المفارقة في تلك النظرة الاستعلائية التي كانت عليها في الحقبة الاستعمارية لا تزال تلازمها حتى اليوم اتجاه شعوب إفريقيا المتحررة.

ويبدو أن الغزو الأوربي تقليد قديم ومتجدد لا يعرف الزوال، ولا يحتاج إلى مبررات فقد مورس على الهنود في أمريكا والسود في إفريقيا، ولا تزال دوله تبحث عن مصالحها في كل مكان وزمان وترفض تحمل مسؤولياتها التاريخية إزاء الوضع الذي آلت إليه إفريقيا، كما أن أبعاد التحرر في إفريقيا قد تجاوزت المجال العسكري والسياسي كالاستعمار والأنظمة العميلة لأن السيادة التامة تقتضي التحرر الاقتصادي والثقافي والتقني.

الهوامش

1 – شوقي عطا الله الجمل ن عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط2، دار الزهرة، الرياض، 2002، ص 338.

2 – نفسه ص 339.

3 – فرغلين على تسن هريدي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، 2008، ص 8–6.

4 – جيمس دفي، الاستعمار البرتغالي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1963، ص 55–54.

5 – شوقي عطا الله، الجمل وآخرون، المرجع سابق ص 75.

6 – نفسه ص 82.

7 – نفسه ص 840

8 – نفسه ص 96.

9 – جلال يحي العرب العربي الخير والمعاصر، الإسكندرية، 1982، ص 144–122.

10 – كريم خليل، عبد الكريم والحروب الريفية، القاهرة، 1952، ص 32.
11 – إبراهيم شحاتة حسن، نصوص ووثائق في تاريخ المغرب تحت الحماية، الإسكندرية، 1982، ص 283.
12 – روم لاندر، ت. نقولا زيادة، تاريخ المغرب في القرن العشرين، بيروت 1963، ص 153.
13 – شوقي الحمل، المرجع السابق ص 357.
14 – موفق عبد الصمد، قضية الساقية الحمراء وواد الذيب، دار النون للطباعة ة النشر، الجزائر، ص9.
15 – شوفي الحمل، المرجع السابق ص 357.
16 – نفسه ص 167–165.
17 – محمد سبلي، عمر المختار ضحية الاستعمار الوحشي، القاهرة، 1957، ص 87.
18 – زاهر رياض، شمال إفريقيا العصر الحديث، مصر، 1967، ص 232.
19 – شوق الحمل، مرجع سابق ص 257–255.
20 – نفسه ص 60.
21 – زاهر رياض، مرجع سابق ص 88.
22 – نقولا زيادة، تونس في عهد الحماية (1934–1881)، القاهرة، ص 238.
23 – حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، الدارالتونسية للنشر، تونس، 1983، ص 215.
24 – نافولا زيادة، مرجع سابق، ص 239.
25 – شوقي الحمل، مرجع سابق ص 326.
26 – إسماعيا أحمد ياغي، محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج3، دار الدح للنشر، الرياض، 1993، ص168.
27 – سلوى مجيد لبيب، دبلوماسية القمة والعلاقات الدولية الإفريقية، دار المعارف، 1980، ص 64–63
28 – شوقي الحمل، مرجع سابق ص 338.
29 – فرغلي علي حسن مريدي وآخرون، المرجع سابق، ص 286.